سلسلة الشروح العلميّة ٢

شرح رسالة واجبنا نحو ما أمرنا الله تبارك وتعالى به

لفضيلة الشيخ

عبد الرّزّاق بن عبد المحسن العبّاد البدر

فرّغه واعتنى به:

سالم الجزائري

شبكة الإمام الآجري
www.ajurry.com

تفريغ معتمد من الشيخ ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتُوب إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا وسيِّئاتِ أعمالنا، من يهدهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين..

اللَّهمَّ لا علم لنا إلَّا ما علَّمتنا، اللَّهم علِّمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا، واجعل ما نتعلَّمه حجةً لنا لا علينا يا ذا الجلال والإكرام، وأَصْلح لنا شأننا كلَّه، اللَّهم فقِّهنا في الدِّين ووفِّقنا لطاعتك يا ذا الجلال والإكرام، وأعذنا من الفتن كلِّها ما ظهر

منها وما بطن.

أيُّها الإخوة الكرام..

موضوعنا موضوع عظيم، نعم، عظيم للغاية، يحتاج إليه كلُّ مسلم ومسلمة ألا وهو (**واجبنا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به**)، ما الذي يجب علينا نحو ما أُمرنا به في كتاب ربِّنا وسنة نبيِّنا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟

وبين يدي هٰذا الموضوع الجليل أذكِّر بأمر يحسن التَّذكير به بين يدي هٰذا الموضوع ألا وهو:

أيُّها الإخوة..

أنّ الله -عزَّ وجلّ- لم يخلق هٰذا الخلقَ باطلًا ولم يوجدْه عبثًا ولعبًا تنزَّه وتقدَّس ربُّنا عن ذلك؛ بل خلق -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الخلقَ بالحقِّ وللحقِّ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣﴾[١].

ونزّه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- نفسه في آيٍ كثيرة من كتابه -سبحانه- عن أن يكون خلق هٰذا الخلق باطلًا أو أوجده لعبًا، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾[٢] فبيَّن -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أنّ هٰذا ظنّ الكافرين وعقيدة أهل الكفر، يظنّون ويعتقدون أنّهم إنَّما خُلِقُوا للَّهو واللَّعب والعبَث، وأنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- إنَّما خلق هٰذه المخلوقات باطلًا؛ أي لا لحكمة ولا لغاية ولهٰذا قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ أي: هم الذين يظنّون بربِّ

---

(١) سورة: النحل، الآية (٣).

(٢) سورة: ص، الآيات (٢٧-٢٨).

العالمين هـٰذا الظَّن الآثم ويعتقدون فيه هـٰذا الاعتقاد الباطل ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ ثم تهددهم فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

وقال -جلّ وعلا- في آية أخرىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾[1].

وجاء في القرآن ثناء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علىٰ عباده المتّقين وأوليائه المؤمنين وحزبه المقرَّبين أولي الألباب السَّليمة والعقول المستقيمة، وأنّهم من جلائل أعمالهم التفكُّر في خلق السّمٰوات والأرض والإيمان الرّاسخ بأنّها لم تُخلق باطلًا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ

---

(١) سورة: الأنبياء، الآيات (١٦-١٧).

لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾(١)

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾ أي لم توجد هٰذا الخلق وهٰذه الكائنات وهؤلاء النَّاس وهٰذه المخلوقات باطلًا، تعاليت وتنزّهت وتقدّست عن ذلك، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي نُنزِّهك ونقدِّسك يا ربَّنا ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وتأمَّل هنا هٰذه الوَسيلة العظيمة التي يتوسَّل بها أولوا الألباب إلىٰ الله بأن يَقيهم عذابَ النَّار ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ يتوسَّلون إلىٰ الله في طلبهم الوقاية من عذاب النَّار بتنزيهه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من أن يكون خلق هٰذه المخلوقات باطلًا

(١) سورة: آل عمران، الآيات (١٩٠-١٩١).

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، وهٰذه وسيلة عظيمة يتوسَّل بها أهل الإيمان إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بأن يَقيهم من عذاب النَّار.

وفي هٰذا سرّ عظيم يحسن التنبُّه له ألا وهو:

أنَّ هٰذه العقيدة -عقيدة أهل الإيمان- بأن الله لم يخلق هٰذا الخلق باطلا لها أثرها عليهم في أعمالهم وأخلاقهم وسلوكهم، وفي عباداتهم، وفي الوقت نفسه عقيدة أهل الكفر أن هٰذه المخلوقات خلقت باطلًا لها أثرها عليهم في أعمالهم وأخلاقهم وعباداتهم وسلوكهم.

فالمؤمن الذي يؤمن بأنَّ هٰذا الخلق لم يُخلق باطلًا ولم يوجد عبثًا، إيمانه هٰذا يجعله يَجدُّ ويجتهدُ وينشط فيما خُلق له ووجد لتحقيقه، ومن يعتقد أنَّ هٰذه المخلوقات خُلقت باطلًا ويظن هٰذا الظَّنَّ، فإنَّ عقيدته وظنّه يُوقعه في أعظم

الرَّدىٰ وأشد الهلاك في دنياه وأخراه.

ولهٰذا كان من أعظم الوسائل إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في طلب الوقاية من النَّار الإيمان الرَّاسخ بأنَّ الله لم يخلق هٰذا الخلق باطلا؛ بل خلقه بالحقِّ وللحقِّ مما يُثمر في المؤمن عملًا صالحًا وطاعاتٍ زاكية وحُسن تقرُّبٍ إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

والكفَّار الذين ظنُّوا بالله هٰذا الظَّن الآثم المشار إليه في قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾(١) تهدَّدهم الله بالنَّار يوم القيامة، ودخول جهنَّم والخلود فيها أبد الآباد.

ولهٰذا إذا دخلوا النَّار يوم القيامة وذاقوا العذاب وتقطَّعت بهم الأسباب وضاقت بهم الحيل يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-

(١) سورة: ص، الآية (٢٧).

لهم وهم في النَّار: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾(١) هٰذا كلام يقوله الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يوم القيامة لأهل النَّار وهم في النَّار، وإذا تأمَّلت السِّياق الذي وردت فيه هٰذه الآية من خواتيم سورة المؤمنون أدركت ذلك؛ لأنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ذكر حال النَّاس يوم القيامة حين يقومون لربِّ العالمين، وحين يقدمون علىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وأنّهم ينقسمون إلىٰ فريقين: فريق في الجنة وفريق في السَّعير، وبيَّن -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- حال كل منهما في آيات عظيمات قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ

(١) سورة: المؤمنون، الآيات (١١٥-١١٦).

فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ
فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا
قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ
﴿١٠٧﴾﴾ أي من النَّار ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ
﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي
يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ
﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ﴾
أي الله ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ والخطاب
للكفَّار أهل النَّار، كم مدَّة بقائكم في الدُّنيا؟ قال: ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ اسأل الملائكة الذين
كانوا يعدّون علينا الأيَّام والأعمال والأوقات ويكتبون،

﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ فهٰذا كلام يقوله الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لأهل النَّار وهم في النار ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ أي لا لحكمة ولا لغاية، أهكذا ظنُّكم بربِّ العالمين؟! أنَّه يخلق الخلق ويوجد هٰذه الكائنات عبثًا لا لحكمة ولا لغاية؟! هٰذا قولٌ للمفسرين في معنىٰ هٰذه الآية.

وقـول آخـر ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ أي للعبـث، أي: أظننتم واعتقـدتم أنَّكـم إنَّمـا خُلقـتكم لأجـل أن تعبثـوا وتلعبوا؟! لأجل هـٰذا خلقكـم الله، ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: تنـــزّه وتقدَّس عن ذلك ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ (الحق) اسم من أسماء الله، ولهٰذا كان نبيُّنا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- كـان

يقول إذا تهجَّد في الليل يقول: «**أنت الحقّ، ووعدك حقّ، وقَولُك حقّ، ولقاؤك حقّ، والجنة حقّ، والنّار حقّ، والسَّاعة حقّ، والنّبيُّون حق، ومحمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حقّ**»(١) قال: «**أنت الحقُّ**» قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾(٢)، قال -جلَّ وعلا-: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾(٣) قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بحق سواه.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

(١) رواه البخاري (ح٦٣١٧) واللفظ له، ومسلم (٧٦٩)، عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٢) سورة: الحج، الآية (٦).

(٣) سورة: الرعد، الآية (١٤).

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾[١]

نسأل الله أن يغفر لنا وأن يرحمنا أجمعين.

أيضا ممّا بيَّنه اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في القرآن في هٰذا الأمر العظيم قوله -جلَّ وعلا-: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[٢] أيظنّ ويعتقد أن يُترك سدىٰ؟!

قيل: أي لا يُؤمر ولا يُنهىٰ. هٰذا قول.

وقيل: ﴿سُدًى﴾ أي: لا يُبعث يوم القيامة.

قال ابن كثير رحمه الله[٣]: والآية تحتمل المعنيين.

وهٰذا لا يكون؛ بل خلق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الإنسان ليأمره وينهاه.

---

(١) سورة: المؤمنون، الآيات (١٠١-١١٨).

(٢) سورة: القيامة الآية (٣٦).

(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله (ج١٣/ ص٢٠٣ تحقيق مصطفىٰ السيد وغيره).

ثم إنَّه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يبعث النَّاس يوم القيامة ويقومون بين يدي ربِّ العالمين ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وهيهات أن يسوِّي ربُّ العالمين بين محسن ومسيء، بين برّ وفاجر، بين مطيع وعاصٍ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾(١) هٰذا لا يكون، هٰذا أمر يُنزه عنه ربّنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

أيُّها الإخوة الكرام..

هٰذه الآيات ونظائرها في كتاب رِّبنا -عزَّ وجلَّ-:

فيها إيقاظ للقلوب، وتبصرة للنَّاس..

فيها تنبيه للغافل وتذكير للمؤمن..

فيها بيان لحقيقة عظيمة ينبغي أن تكون حاضرة في الذِّهن،

---

(١) سورة: ص، الآية (٢٨).

كي لا تمضي بالإنسان سنونه وأيامه وأوقاته في الضَّياع والباطل، فالإنسان لم يُخلق للباطل، ولم يوجد للعبث. وإذا أدرك المسلم هٰذا الأمر واستحضره وأيقن أنَّه مخلوق ليؤمر ويُنهىٰ، خلقه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ليأمره وينهاه.

فما الذي يجب عليه نحو ما أمره الله به ونحو ما نهاه الله عنه؟ وهٰذا موضوع الحديث:

الواجب علىٰ كلِّ مسلم ومسلمة نحو ما أمره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به أمور سبعة عظيمة، فكلُّ ما أمرنا الله به وكلُّ ما نهانا الله عنه يجب علينا نحوه أمور سبعة، لابدّ منها، نعتني بها حفظًا وفهمًا وتطبيقًا.

وقد بيَّن هٰذه الأمور السّبعة بيانًا شافيًا ووضحَّها توضيحًا نافعًا الإمامُ المجدِّد شيخ الإسلام محمد بن عبد

الوهّاب -رحمه الله وغفر له-، وفيما يلي نصّ كلامه[1] إلىٰ تمامه نتأمَّله فإنَّه عظيم الفائدة، قال رحمه الله تعالىٰ:

[المتن]

إذا أمرَ اللهُ العبدَ بأمرٍ وجب عليه فيه سبعُ مراتبَ:

الأولىٰ: العِلْمُ به.

الثّانية: محبَّته.

الثّالثة: العزْم علىٰ الفعل.

الرّابعة: العَمَل.

الخامسة: كونه يقع علىٰ المشروع خالصًا صوابًا.

السّادسة: التَّحذير من فعل ما يُحبطه.

السّابعة: الثَّبات عليه.

إذا عرف الإنسانُ أنَّ اللهَ أمر بالتَّوحيد، ونهىٰ عن الشِّرك؛ أو

---

(١) الدُّرر السنية في الأجوبة النجدية (ج٢/ ص٧٤-٧٥/ ط السابعة ١٤٢٥).

عرف: أنّ الله أحلّ البيع وحرَّم الرِّبا؛ أو عرف: أنّ الله حرَّم أكل مال اليتيم، وأحلَّ لوليِّه أن يأكل بالمعروف إن كان فقيرًا، وجب عليه أن يعلم المأمورَ به ويسأل عنه إلىٰ أن يعرفه، ويعلم المنهيَّ عنه، ويسأل عنه إلىٰ أن يعرفه.

واعتبر ذلك بالمسألة الأولىٰ، وهي: مسألة التَّوحيد، والشِّرك. أكثر النّاس علم أنَّ التَّوحيد حقٌّ، والشِّرك باطل، ولكن أعرض عنه، ولم يسأل.

وعرف: أنَّ الله حرَّم الرِّبا، وباع واشترىٰ ولم يسأل.

وعرف: تحريم أكل مال اليتيم، وجواز الأكل بالمعروف؛ ويتولىٰ، مال اليتيم ولم يسأل.

المرتبة الثَّانية: محبَّة ما أنزل الله، وكُفر من كرهه، لقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾[1] فأكثر

---

(١) سورة: محمد الآية (٩).

النَّاس لم يحبَّ الرَّسول -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ بل أبغضه، وأبغض ما جاء به، ولو عرف أنَّ الله أنزله .

المرتبة الثّالثة: العزم علىٰ الفعل؛ وكثير من النَّاس: عرف وأحبّ، ولكن لم يعزم، خوفًا من تغير دنياه.

المرتبة الرَّابعة: العمل؛ وكثير من النَّاس: إذا عزم أو عمل وتبيَّن عليه من يعظّمه من شيوخ أو غيرهم ترك العمل.

المرتبة الخامسة: أنّ كثيرًا ممن عمل، لا يقع خالصًا، فإن وقع خالصًا، لم يقع صوابًا.

المرتبة السَّادسة: أنّ الصّالحين يخافون من حبوط العمل، لقوله تعالىٰ: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾[1] وهٰذا من أقل الأشياء في زماننا.

المرتبة السَّابعة: الثّبات علىٰ الحق، والخوف من سوء

---

(١) سورة: الحجرات، الآية (٢).

الخاتمة، لقوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن منكم من يعمل بعمل أهل الجنة، ويُختم له بعمل أهل النار»(١) وهذه أيضًا: من أعظم ما يخاف منه الصَّالحون؛ وهيٰ قليل في زماننا؛ فالتفكر في حال الذي تعرف من الناس في هٰذا وغيره، يدلك علىٰ شيء كثير تجهله؛ والله أعلم.

[الشّرح]

[المرتبة الأولىٰ: العِلْمُ به]

أمَّا الأمر الأول فيما يجب علينا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به هو أن نتعلَّمه، وهٰذا أوَّل واجبٍ وبه يُبدأ، ولهٰذا قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ

---

(١) رواه البخاري (ح٦٥٩٤)، ومسلم (ح٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

لِذَنۢبِكَ﴾[١] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، ومن لم يتعلَّم ما أمره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به ولم يتعلَّم ما نهاه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عنه كيف يفعل المأمور وكيف يترك المنهي؟! وكما يقال: فاقد الشيء لا يعطيه، وكما يقال: كيف يتَّقي من لا يدري ما يتَّقي؟[٢]

ولهـٰذا أوَّل واجب علينا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به أن نتعلَّمه، ولهـٰذا جاءت الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة عن رسولنا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحض علىٰ العلم والحثّ عليه والتَّرغيب فيه وبيان فضله وذكر فوائده وثماره وآثاره.

ومن ذلكم قول نبيِّنا -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: «من

---

(١) سورة: محمد، الآية (١٩).

(٢) منْ قَولِ بكرِ بْنِ خُنَيْسٍ، أخرجَه أبو نُعيمٍ في الحِليَةِ (٨/ ٣٦٥).

سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقا إلىٰ الجنة»(١) وقوله -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- «**من يُرد الله به خيرا يفقهه في الدِّين**»،(٢) وقد صحّ عن نبيِّنا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أنه كان يقول كل يوم بعد صلاة الصبح: «**اللهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيِّبًا وعملًا متقبَّلًا** »(٣) يسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كل يوم، وقد قال الله له في القرآن: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾(٤) وأوّل آية نزلت عليه ﴿اقْرَأْ﴾(٥) أمر بالقراءة

---

(١) رواه مسلم رحمهُ الله (ح٢٦٩٩) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٢) رواه البخاري رحمهُ الله (ح٧١)، ومسلم رحمه الله (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٣) رواه ابن ماجه رحمه الله (ح٩٢٥) عن أمِّ سلمة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٤) سورة: طه الآية (١١٤).

(٥) سورة: العلق، الآية (١).

والتعلُّم وطلب العلم.

ولاحظ هنا في هٰذا الدُّعاء بدأ -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- بالعلم النَّافع قبل الرِّزق الطّيب وقبل العمل الصّالح أو العمل المتقبَّل؛ لأنَّ العلم النّافع هو الذي يمِيز به المسلم بين الرِّزق الطيِّب والخبيث، وبين العمل الصّالح وغير الصَّالح، ومن لم يكن عنده علم نافع كيف يَمِيز بين حقٍّ وباطل وطيب وخبيث! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾[2]، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾[3].

(١) سورة: الزمر، الآية (٩).

(٢) سورة: الرعد، الآية (١٩).

(٣) سورة: الملك، الآية (٢٢).

فإذًا العلم أساس عظيم ومطلب جليل يجب علىٰ كلِّ مسلم ومسلمة أن يحرص عليه، ولهٰذا نصح العلماء أن يكون للمسلم حظ من العلم في أيّامه كلِّها، يحرص أن لا تغيب عليه شمس يوم لا يحصِّل فيه علمًا، العلم مطلوب منك يوميًّا، ودليل ذلك واضح في دعاء نبيِّنا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كل يوم بعد صلاة الصبح «**اللهم إنِّي أسألك علما نافعا**».

ولهٰذا ينبغي أن يكون في برنامج المسلم اليومي طلب العلم، وأن يكون له حظ من التعلُّم وطلب العلم في أيَّامه، لا يفوِّت، ومن نعمة الله علينا في هٰذا الزّمان أن وسائل تحصيل العلم كثُرت، في سيارتك تستطيع أن تسمع: الموعظة النَّافعة، والمحاضرة المفيدة، والفتاوىٰ المسدّدة، تسمع كلام الله، تسمع بيان آياته وأحاديث رسوله -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، تسمع الإذاعة المباركة -إذاعة القرآن الكريم- وهي جامعة

للعلم وأفاد منها خلق كثير في العالم لا يحصيهم إلا الله -جلّ وعلا. يحرص المسلم أن يكون له في أيامه نصيب من العلم، وهٰذا الجهاز الذي أكرمك الله به في سيارتك جهاز التَّسجيل والمذياع إيَّاك أن تَشغله في باطل، إياك أن تستعمل هٰذه النعمة العظيمة في باطل وفي حرام؛ بل تستفيد من هٰذه الوسيلة المفيدة في تحصيل العلم.

ومن الناس من أنهىٰ كتبا أو أنهىٰ دراسة كتب وسماع كتب بشروحات أهل العلم في سيارته، في مشاويره، في أسفاره؛ يحصّل علما.

في الزَّمن الأوَّل لم تكن هٰذه الوسيلة مهيئة، هٰذه نعمة من نعم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- التي أنعم بها علينا.

الشَّاهد أنَّ أوَّل واجب علينا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به العلم، التعلم، معرفة الأمر، معرفة النهي.

أمرنا الله بالتَّوحيد نتعلَّم التوحيد، وهو أعظم شيء أمرنا

الله به.

أمرنا بالصّلاة وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين نتعلم الصّلاة بشروطها وأركانها وواجباتها، ألم يقل نبيُّنا – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١)؟! كيف يصلِّي المسلم كما صلَّىٰ رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون أن يطلب علمًا؟!

وهكذا قُلْ في الصِّيام، في الزَّكاة، في عموم الطَّاعات، يجتهد المسلم في تعلُّم ما أمره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به، ومن العلم ما هو فرْضُ عينٍ يجب علىٰ كلِّ مكلَّف.

[المرتبة الثانية: محبته]

الأمر الثاني ممَّا يجب علينا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به أن نحبَّه، أن نعمّر قلوبنا بمحبته، والمحبَّة وهي في

---

(١) رواه البخاري (ح٦٣١) عن مالك بن الحويرث -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

القلب سائق إلىٰ كلِّ خير وداعية إلىٰ كلِّ فضيلة، قد قال –عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: «**ألَا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**»(١) ولهٰذا ينبغي علىٰ المسلم أن يَعمر قلبه دائمًا وأبدًا بمحبَّة الله، ومحبَّة رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومحبَّة شرع الله، ويحرِّك هٰذه المحبة ويقوِّيها ويوسِّع مساحتها في قلبه: يحبّ الصّلاة، يحبّ الصِّيام، يحبّ البرّ، الصّلة، الإحسان، يحب الصّدق، يكره المحرّمات والآثام والفواحش..

فإذا كان القلب محبًّا لله مبغضًا لله صلحت حال الإنسان، «**من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله ومنع لله: فقد**

(١) رواه البخاري رحمهُ الله (ح ٥٢)، ومسلم رحمه الله (١٥٩٩) من حديث النُّعمان بن بشير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

استكمل الإيمان»،[١] «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**».[٢]

ولهٰذا يحتاج المسلم دائمًا أن يقوِّي في قلبه محبَّة الله ومحبَّة رسوله -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- ومحبَّة شرعه، وأن يبذل الأسباب التي تمكِّن هٰذه المحبَّة في قلبه، وأن يحاول أن يُبعد عن قلبه مرضه وزيغه وغفلته.

الآن -والعياذ بالله- بسبب زيغ القلب ومرضه تجد بعض النَّاس لا يُقبل قلبه علىٰ أمور الخير ولا ينشرح لها، ولا يسعد بسماعها ويتضايق من ذكرها، وإذا دُعي إلىٰ باطل أقبلت نفسه واتّجه إليها قلبه، وتطلّع إليها، وربما يقول:

---

(١) رواه أبو داود رحمه الله (ح٤٦٨١) من حديث أبي أمامة الباهلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله- في الصحيحة (ح ٣٨٠).

(٢) رواه الإمام أحمد (ح١٨٥٢٤) وفي سنده ضعف، لكنه حسن بشواهده. انظر: السلسلة الصَّحيحة (ح٩٩٨).

نفسي ما ترتاح لكذا من الخيرات ومن الطّاعات وقلبي منقبض، هٰذا مرض، هٰذا زيغ في القلب ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ⁽٨⁾﴾[١].

ولهٰذا يحتاج العبد أن يجاهد نفسَه علىٰ عمارة قلبه بمحبَّة الله ومحبَّة دينه ومحبَّة شرعه ومحبَّة الأوامر، فإذا وُجدت هٰذه المحبَّة صلحت حال الإنسان.

ومن عظيم الدُّعاء المأثور عن نبيِّنا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وهو ثابت عنه: «**اللهم إنّي أسألك حبّك وحبّ من يحبك وحبّ العمل الذي يقربني إلىٰ حبّك**»[٢] وهٰذه الدّعوة يدعو بها المسلم ويكرِّرها في حياته، وأيضا يبذل الأسباب

---

(١) سورة: آل عمران الآية (٠٨).

(٢) رواه الترمذي رحمه الله (ح٣٤٩٠)، عن عبد الله بن ربيعة الدمشقي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قال الترمذي: هٰذا حديث حسن غريب.

التي تُقوِّي وتوسِّع مساحة المحبّة لله ولرسوله ولدينه في قلبه، وإذا كان القلب محبًّا للخيرات أقبل عليها وسعىٰ في فعلها والقيام بها.

[المرتبة الثّالثة: العزْم علىٰ الفعل]

الأمر الثالث مما يجب علينا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به هو أن نعزم علىٰ فعله، عَلمْتَه وأحببتَه اعقد في قلبِك العزم، واستحضر في قلبك النّيّة المصمِّمة، واجتهد في أن تكون عندك إرادة قويَّة نحو ما أمر الله به، قد قال النّبي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- لشدّاد بن أوس: « **يا شداد بن أوس إذا رأيت النَّاس اكتنزوا الذّهب والفضّة فأكثر هؤلاء الكلمات: اللَّهم إنِّي أسألك الثبات علىٰ الأمر، والعزيمة علىٰ الرّشد، وأسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم،**

وأستغفرك لما تعلم؛ إنَّك أنت علَّام الغيوب»[١] هٰذا كنز من أثمن الكنوز وأنفَسها.

والشاهد منه «**اللَّهم إنِّي أسألك العزيمة علىٰ الرّشد**»، وهٰذا الدّعاء أعظم الدُّعاء «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك الثَّبات علىٰ الأمر والعزيمة علىٰ الرشد**» يقول ابن القيم رحمه الله: (وهاتان الكلمتان هُما جماع الفلاح وما أتىٰ العبد إلا من تضييعهما أو تضييع أحدهما)[٢].

وتأمّل قوله هنا: «**أسألك العزيمة علىٰ الرُّشد**» قد يعرف الإنسان الرشد، وقد يحبه؛ لٰكن تكون عزيمته فاترة.

علىٰ سبيل المثال: قد يعرف الصّلاة ومكانتها ويحبّ

---

(١) أخرجه الطبراني -رحمه الله- في المعجم الكبير (ح ٧١٣٦) من حديث شداد بن أوس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله- في الصّحيحة (ح٣٢٢٨).

(٢) مفتاح دار السَّعادة (ج١/ ص١٤٢ -دار الكتب العلمية).

الصّلاة، ويعرف أن الصّلاة يترتّب عليها من الخيرات العظيمة والثِّمار في الدُّنيا والآخرة الشَّيء الكثير، ويعرف عقوبة تارك الصَّلاة، وإذا سألته عن الصَّلاة ومكانتها في نفسه يقول: يحبُّها، ولا يبغضها. ولٰكن عزيمته ضعيفة فاترة.

كثيرٌ من النَّاس يوعظون ويذكَّرون ويسمعون من التَّذكير والوعظ؛ ولٰكن عزيمتهم فاترة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾.(١)

إذاً الإنسان بعد معرفته بالمأمور ومحبّته له يحتاج إلىٰ عزيمة، ولاحظ هنا أنّ العزيمة منَّة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- علىٰ من شاء من عباده، ولهٰذا اطلبها من الله، اطلب من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- العزيمة علىٰ الرّشد اسأله أن يعينك، «**أعني**

---

(١) سورة: النساء الآية (٦٦).

علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»،(١) اطلب من الله، إذا كانت عزيمتك فاترة، همّتك متدنية فاطلب من الله واصدق مع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في الطَّلب، وهو -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يجيب من دعاه ولا يخيِّب من ناداه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

[المرتبة الرّابعة: العَمَل]

الأمر الرّابع: العمل، علمت وأحببت وعزمت اعمل، وواضب علىٰ العمل، وكل عمل تأتي به في وقته، وتواضب عليه في ساعته، وإياك والتّسويف والتّأجيل؛ بل تبادر إلىٰ الأعمال وتسارع إليها ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ**﴾(٢) فيبادر العبد، «**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل**

---

(١) رواه أبو داود رحمه الله (ح ١٥٢٢) عن معاذ بن جبل -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) سورة: آل عمران، الآية (١٣٣).

المظلم»(١) يبادر الإنسان ويسارع وإذا جاء وقت العمل لا يؤجِّل، سُئل -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: أي العمل أحبّ إلىٰ الله؟ قال: «**الصَّلاة إلىٰ وقتها**»(٢) إذا جاء وقت الصلاة يترك كل شيء ويبادر إليها، وهكذا كل طاعة يبادر ويسارع إليها، ويعوِّد نفسه علىٰ المواظبة علىٰ الأعمال، والعناية بالعبادات والطاعات، قد مر معنا في دعاء نبيِّنا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقا طيِّبا وعملا متقبَّلا**»(٣) وفي رواية «**وعملا صالحا**»، وأيضا جاء في حديث معاذ «**اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»،(٤) ومرّ معنا في

---

(١) رواه مسلم رحمه الله (ح١١٨) عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٢) رواه البخاري رحمه الله (ح٥٢٧)، ومسلم رحمه الله (ح ٨٥) عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٣) سبق تخريجه ص (٢٤).

(٤) سبق تخريجه ص (٣٥).

حديث شدَّاد قال: «**اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك**» حسن العبادة، فالشاهد هٰذا الأمر الرابع.

وليحذر الإنسان من الصّوادّ والصوارف والملهيات والشواغل، يحذر عن كل أمر يصرفه عن العمل ويشغله عن الطاعة التي خُلق لأجلها وأوجد لتحقيقها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾(١).

[المرتبة الخامسة: كونه يقع علىٰ المشروع خالصًا صوابًا.]

الأمر الخامس: أن يقع العمل خالصًا صوابًا؛ خالصًا لله، صوابًا علىٰ السُّنّة، قد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾(٢) فلابدّ في العمل

---

(١) سورة: الذّاريات، الآية (٥٦).

(٢) سورة: الملك، الآية (٢).

من اتِّصافه بالحسن، ولهٰذا قال في الدُّعاء: «**حسن عبادتك**» فلابد أن يتّصف بالحسن، ولا يكون متَّصفا بالحسن إلا بالإخلاص والمتابعة.

ولهٰذا قال الفُضيل بن عياض -رحمه الله- في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا عليّ! وما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتىٰ يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان علىٰ السّنّة. (١)

فإذن العبد إذا علم وأحب وعزم وعمل يحرص أن تكون أعماله خالصة لله، وأن تكون في الوقت نفسه صوابًا علىٰ وَفْق

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ج٦/ ص٢١٧-تحقيق رشاد سالم)

سنة رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فإن العمل إن لم يكن خالصًا لا يقبله الله ولو كان كثيرا، قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرك من عمل عملا أشرك معيَ فيه غيري تركتُه وشِرْكَه**»(١) وإذا لم يكن العمل صوابًا علىٰ السُّنة لم يقبله الله، قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** »(٢) فالعمل ولو كان كثيرًا لا يُقبل إلَّا إذا كان خالصًا للمعبود، موافقًا لهدي الرَّسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-.

[المرتبة السَّادسة: التَّحذير من فعل ما يُحبطه]

الأمر السّادس ممّا يجب علينا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ

---

(١) رواه مسلم (ح٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٢) ذكرهُ البخاري (كتاب البيوع ، باب النّجش) تعليقا ، ووصَلَه في كتابِ الصُّلْحِ (ح٢٦٩٧) ، وانظُرْ كلامَ الحافِظِ في شَرْحِه ، ومسلم (ح ١٧١٨) من حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-.

وَتَعَالَىٰ- به أن نحذر من مبطلات الأعمال ومحبطات الأعمال.

علمت، أحببت، عزمت، عملت، وجئت بالعمل خالصا صوابًا، احذر بعد ذلك من محبطات الأعمال، ومبطلات الأعمال ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾(١) احذر أن تأتي بأمر يُحبط عملك ويُبطله.

فإنَّ من النّاس من يأتي يوم القيامة ويُردّ عليه عمله وتكون أعماله باطلة، وأعظم مبطل للأعمال هادمًا لها الشِّرك بالله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾(٢) فيحذر الإنسان من مبطلات

---

(١) سورة: الحجرات، الآية (٢).

(٢) سورة: الزمر، الآيات (٦٥-٦٦).

الأعمال، وممّا يبطل العمل الرّياء والسّمعة؛ أن يأتي بالعمل علىٰ وجه المراءاة أو السّمعة والذِّكر عند المخلوقين، لا تكون نيّته في العمل خالصةً لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

فالشَّاهد أنَّ العبد يجب عليه أن يحذر من مبطلات الأعمال.

[المرتبة السّابعة: الثَّبات عليه]

الأمر السَّابع ممَّا يجب علينا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به، وهو الأخير: الثَّبات، يحرص الإنسان علىٰ الثَّبات علىٰ الحقّ والهدىٰ والاستقامة علىٰ دين الله إلىٰ الممات.

قال سفيان بن عبد الله الثَّقفي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك.

قال: «**قُل: آمنْتُ بالله ثُمّ استقم**»(١) فيحرص الإنسان علىٰ الاستقامة والثَّبات علىٰ دين الله ويسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- دومًا أن يثبِّته، قال تعالىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾(٢) ويجب علىٰ المسلم أن يخاف من سوء الختام، يقول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلَّا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النَّار فيدخُلها**»،(٣) ولهٰذا كان السَّلف يخافون من السَّوابق والخواتيم؛(٤) (السَّوابق) أي ما سبق له في علم الله،

---

(١) رواه مسلم رحمه الله (ح ٣٨).

(٢) سورة: إبراهيم الآية (٢٧).

(٣) سبق تخريجه ص (٢٢).

(٤) قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في جامع العلوم والحكم (ج٢/ ص١٧٣- تحقيق الأرناؤوط): (**وكان يشتدّ خوف السّلف من سوء** =

و(الخواتيم) أي ما يُختم عليه في أيامه الأخيرة ولحظاته الأخيرة التي يودِّع فيها الدنيا، فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- : «**من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنَّة**»،(١) ولهٰذا يحتاج المسلم دومًا وأبدًا أن يسأل ربَّه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يثبِّته، ودومًا يسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن لا يُزيغ قلبه، تقول أم سلمة -رَضِيَ اللهُ عَنْها-: كان أكثر دعاء النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**يا مقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي علىٰ دينك**». قالت: قلت: يا رسول الله! ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك؟! قال: «**يا أمّ سلمة! إنَّه**

=

الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السَّوابق. وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلَّقة بالخواتيم يقولون: بماذا يُختم لنا ؟! وقلوب المقرَّبين معلقة بالسوابق يقولون: ماذا سبق لنا؟!) ا.هـ

(١) رواه أبو داود رحمه الله (ح ٣١١٦) عن معاذ بن جبل -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

ليس آدمي إلَّا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ»،[(١)] وجاء في الصَّحيحين أنَّ نبيَّنا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يقول في دعائه: «**اللَّهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللَّهم إني أعوذ بعزتك لا إلٰه إلا أنت أن تضلني، أنت الحيّ الذي لا يموت، والجنّ والإنس يموتون**»[(٢)]، وكان في كلِّ مرَّة يخرج فيها من بيته يقول -صلوات الله وسلامه عليه-: «**اللَّهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضل، أو أَزل أو أُزل، أو أَظلم أو أُظلم،**

---

(١) رواه الترمذي رحمه الله (ح٣٥٢٢)، وحسَّنه، وصحَّحه الشيخ الألباني رحمه الله. وأصله في مسلم رحمه الله (ح٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٢) رواه البخاري (ح٧٣٨٣)، ومسلم (ح٢٧١٧) واللفظ له، من حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

أو أجهل أو يُجهل عليّ»[١] فالشَّاهد أنَّ العبد يدعو ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن لا يضله، أن لا يزيغه، يدعو ربه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يثبت قلبه علىٰ الإيمان، ويأخذ بأسباب الثبات والاستقامة، ومن ذلكم: أن يحرص دومًا وأبدا علىٰ إصلاح سريرته وإصلاح باطنه بينه وبين الله، ولهٰذا قال أهل العلم: لا يُعرف أنَّ من صلُحت سريرته وحسُنت عقيدته بينه وبين الله أن يُختم له بخاتمة سيئة. نقل ذلك ابن القيم -رحمه الله- في كتابه الجواب الكافي عن بعض أهل العلم،[٢] وشاهد ذلك

---

(١) رواه أبو داود (ح ٥٠٩٤)، ابن ماجه (ح ٣٨٨٤ من حديث أم سلمة -رَضِيَ اللهُ عَنْها-، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي (ص١٨٣ -دار المنهاج) -نقلا عن عبد الحق الإشبيلي رحمه الله: **واعلم أنَّ سوء الخاتمة -أعاذنا الله تعالىٰ منها- لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سُمِع بهٰذا، ولا عُلِم به ولله الحمد، وإنَّما تكون لمن له فساد في العقيدة أو إصرار علىٰ الكَبيرة، وإقدام علىٰ العظائم، فربَّما غلب ذلك**
=

في الحديث في بعض رواياته قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنَّة فيما يبدو للنَّاس**»[1] إذا السَّريرة يكون فيها شيء، ولهذا يجتهد الإنسان في إصلاح سريرته، وتنقيتها بالإخلاص وبالصِّدق وبالمحبّة وبالخير.

أيضا يُبعد عن قلبه الغل والحقد ودفائن القلوب وسخائم النُّفوس، وفي الدُّعاء المأثور عن نبيِّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**واسْلُل سَخيمةَ صدري**»[2] فيصلح الإنسان باطنه ويدعو ربّه

=

عليه حتىٰ نزل به الموت قبل التَّوبة، فيأخذه قبل إصلاح الطَّويَّة، ويصطدم قبل الإنابة فيظفر به الشَّيطان عند تلك الصَّدمة ويختطفه عند تلك الدّهشة، والعياذ بالله.

ا.هـ وفي طبعة (المجمع) ص (٣٩١).

(١) رواه البخاري (ح ٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد السّاعدي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

(٢) رواه أبو داود (ح١٥١٠)، والترمذي (ح ٣٥٥١) وحسنه، وابن ماجه (ح ٣٨٣٠) من حديث ابن عباس، وصحّحه الشّيخ الألباني رحمه الله.

-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يثبّته علىٰ الحق والهُدىٰ، وأن يحييه مسلمًا وأن يتوفّاه مؤمنًا، وأن يصلح له دينه الذي هو عصمة أمره، وأن يصلح له دنياه التي فيها معاشه، وأن يُصلح له آخرته التي فيها معاده، وأن يجعل الحياة زيادة له في كلِّ خير والموت راحةً له من كلِّ شر.

وفي هٰذا المعنىٰ دعوات كثيرة عن نبيِّنا -صلوات الله وسلامه عليه-.

فهٰذه -أيُّها الإخوة الكرام- أمور سبعة تجب علينا نحو ما أمرنا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- به، وكما قدَّمت إنّ هٰذه الأمور وضّحها وجمعها الإمام المصلح المجدّد شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في رسالة عظيمة مشتملة علىٰ فائدة جليلة وكبيرة يحتاج إليها كلّ مسلم، وهي من بيان وإيضاح وجمْع هٰذا الإمام رحمه الله وغفر له وأسكنه جناته جنات النعيم وجزاه عن المسلمين خيراً.

ولي علىٰ هٰذه الرِّسالة شرح مختصر أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن ييسِّر إكماله ونشره، وأن يوفِّقنا جميعًا لكلِّ خير، وأن يهدينا سواء السَّبيل، وأن يصلح لنا شأننا كلَّه، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، وأن يجعل لنا الحياة زيادة لنا في كلِّ خير والموت راحة لنا من كلِّ شر.

اللهم إنّا نسألك علما نافعا، وعملا صالحا، ورزقا طيبا.

اللهم إنّا نسألك حبَّك وحبَّ من يحبُّك، وحبَّ العمل الذي يقرِّبنا إلىٰ حبِّك.

اللهم إنّا نسألك العزيمة علىٰ الرُّشد والغنيمة من كل بر، ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك.

اللهم إنَّا نسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا.

اللهم إنَّا نسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك.

اللهم إنَّا نسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا.

اللهم إنَّا نسألك من خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك مما تعلم إنَّك أنت علَّام الغيوب.

اللهم يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا علىٰ دينك، ربَّنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

اللهم اغفر ذنوب المذنبين، وتب علىٰ التائبين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللهم اغفر لنا ذنبنا كلَّه: دِقَّه وجله، أوّله وآخر، سرَّه وعلنه.

اللهم اغفر لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منَّا، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر وأنت علىٰ كلِّ شيء قدير.

ربَّنا تقبَّل منَّا إنّك أنت السَّميع العليم واغفر لنا إنَّك أنت

الغفور الرَّحيم، وتُب علينا إنَّك أنت التَّواب الرَّحيم.

وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله ربِّ العـالمين، وصـلَّىٰ الله وسلم وبـارك وأنعـم علىٰ عبـد الله ورسـوله نبينـا محمـد وآلـه وصحبه أجمعين.

۞۞۞۞

الفهرس

مقدمة ٥

لم يخلق الله الخلق عبثا ولا باطلا ٦

سر عظيم ١٠

لم يخلق الله الخلق سدًىٰ ١٦

المراتب السبع فيما أمر الله (المتن) ١٩

المرتبة الأولىٰ: العِلْمُ به ٢٢

المرتبة الثانية: محبته ٢٨

المرتبة الثّالثة: العزْم علىٰ الفعل ٣٢

المرتبة الرّابعة: العَمَل ٣٥

المرتبة الخامسة: كونه يقع علىٰ المشروع خالصًا صوابًا. ٣٧

المرتبة السَّادسة: التَّحذير من فعل ما يُحبطه ٣٩

المرتبة السّابعة: الثَّبات عليه ٤١

الخاتمة ٤٧

الفهرس ٥١